الكلمة الطيبة | فضل العشر الأخيرة من رمضان

للشيخ د. عَبْدُ المُحْسِنِ بن مُحَمَّدِ القَاسِمِ وَفَّقَهُ اللهُ

http://bit.ly/2rbJVts

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، أيها الإخوة المستمعون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهذا حديث عن: **فضل العشر الأخيرة من رمضان.**

يتفضّل رَبُّنا على عباده بِنَفَحَاتِ الخيراتِ ومواسمِ الطاعات، فيغتنم الصالحون نفائسها، ويتدارك الأوابون أواخرها.

ليال مباركة أوشكت على الرحيل، ليالي شهر كريم، أبواب الجنان فيه مفتَّحة، وأبواب النار فيه مغلقة، والشياطين فيه مُصَفَّدة.

العشر الأخيرة منه تاج الليالي، كان نبينا ﷺ إذا دخلت؛ أحيا ليله، وأيقظ أهله وشدَّ المئزر، تقول عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» رواه مسلم.

في العشر ليلة هي أُمُّ الليالي، كثيرة البركات، عزيزة الساعات، القليل من العمل فيها كثير، والكثير منه مضاعف ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

خَلقٌ عظيم ينزل من السماء ولشهود تلك الليلة ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾.

ليلةُ سلامٍ وبركاتٍ على هذه الأمة، قال ابن كثير رحمه الله: «يَكثر نزول الملائكة في هذه الليلة، لكثرة بركتها؛ والملائكة ينزلون مع تَنَزُّل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بِحِلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدقٍ تعظيماً له».

وفي شهر الصيام نزل كتاب ربنا العظيم، الثواب في تلاوته جزيل، من قرأه فله بكل حرف منه حسنة، وهو شافعٌ لصاحبه، يقال لقارئه يوم القيامة: «ٱقْرَأْ وَٱرْقَى ... فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ – في الجنة – عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تُرَتِّلُهَا».

فٱجعل لتلاوة كتاب الله على لسانك في العشر الباقية طراوة، ولصوتك منه نداوة، لتظفر بشفيعين في الآخرة: القرآن والصيام؛ فلقد كان جبريل عليه السلام يدارس نبيَّنا محمداً ﷺ القرآنَ في شهر الجود والنفحات.

والصلاة قرة عيون الصالحين، وراحة أفئدة الخاشعين، وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

حثَّ النبي ﷺ أصحابه على قيام الليل، قال عليه الصلاة والسلام لابن عمر رضي الله عنهما: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ؛ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» متفق عليه، فما ترك رضي الله عنه القيام بعد ذلك.

والعبدُ مذموم على ترك قيام الليل، قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» متفق عليه.

قيام الليل من أفضل الأعمال، ومن أسباب دخول الجنان، قال عليه الصلاة والسلام: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه الترمذي.

وليالي رمضان مُبَشَّرٌ من قامها بغفران الذنوب، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه.

وفي كل ليلة ساعة إجابة، الأبواب فيها تُفَتَّح، والكريم فيها يَمنح، فٱسأل فيها ما شئت؛ فالمُعطي كريم، وأيقن بالإجابة؛ فالرب قدير، وبُثَّ إليه شكواك؛ فإنه الرحمن الرحيم، وٱرفع إليه لَأْوَاك؛ فهو السميع البصير، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً – مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ –؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» رواه مسلم.

ونَسَمَاتُ آخر الليل مظنة إجابة الدعوات، قيل للنبي ﷺ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ – أي: أحرى بالإجابة – قَالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوبَاتِ» رواه الترمذي.

والعبد مُفتقر إلى محو أدران خطاياه، والانكسار بين يدي الله والافتقار إليه في هذه العشر المباركات بالاعتكاف في بيت من بيوت الله؛ أحرى بمغفرة دنس الخطايا، وأرجى لقبول العبد عند الله ورضاهُ عنه، وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله.

فٱرغب إلى ربك بالاعتكاف، وداوم على ذكر الله فيه، وأكثر من الدعاء في ساعات الإجابة، فتلك لحظات تُغْتَنَم، قال القرطبي رحمه الله: «فضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل».

وإذا قَرُبَ العبدُ من ربه؛ لَطَفَ اللَّهُ به، وساق إليه الإحسان من حيث لا يشعر، وعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ورفعه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على بال.

والمال وديعة في يدك، ليس لك منه إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؛ فتواضع بقلبك للمسكين، وٱبذل كف الندى له، وٱدن منه، وٱحن عليه، ولا تحتقر فقيراً؛ فإن أكثر أهل الجنة هم الفقراء، متفق عليه.

وباليسير من النفقة مع الإخلاص تنجو من النار، قال عليه الصلاة والسلام: «اتَّقُوا النَّارَ؛ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» متفق عليه.

وَقِ نفسك شُحَّها، وأيقن بالغني من الكريم؛ فالمُنفَق مُخلَف، قال عليه الصلاة والسلام: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْفِقْ يَا ابْنَ؛ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» متفق عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» رواه مسلم.

والشيطانُ يوسوس لك، ويأمرك بالإمساك وَيُزَيِّنُهُ لك، خديعةً ومَكْراً، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ أي: بالبخل ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾، فلا تقهر يتيماً، ولا تنهر سائلاً، وأنفق بسخاوة نفسٍ؛ يُبَارَك لك في المال والولد.

والشهر أوشك على الرحيل بما أودع فيه العباد من أفعال، واللبيبُ من ختم شهره بتوبة صادقة بالبُعد عن المعاصي والآثام، والمفلس من أغرق نفسه في السيئات ولقي ربه وهو على العصيان.

والتوبة ليست نقصاً، بل هي من أفضل الكمالات، ومن أَحبِّ الحسنات إلى الله، وهي الأصل الذي تصلح عليه الأمور؛ فأكثر من الاستغفار في ختام شهرك يكن تاجاً على حسناتك، وماحياً لقبيح زَلَّاتك، وتذكر «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، وإياك والتسويف بالتوبة فإن الموت يأتي بغتة.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.